

الحمد لله رب العالمين، أحمدده حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأصلي وأسلم على محمد بن عبد الله صلاة وسلاما دائمين أتمين أكملين إلى يوم الدين.
أما بعد:

فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته، أسأل الله - عز وجل - أن يرزقني وإياكم العلم النافع والعمل الصالح.

أيها الأحبة الكرام، هذه المجالس المباركة هي مجالس خير بإذن الله تعالى على من شهدها وحضرها، ولا يخفى على شريف علمكم النصوص الواردة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الدالة على فضل مجالس الذكر، وليس المقام مقام سرد هذه النصوص، وإنما الأمر تذكير بما أنتم أتون إليه، وما تريدونه بإذن الله - عز وجل - من الله - جل وعلا -.

أشكر الله - جل وعلا - أولاً على هذا اللقاء الطيب المبارك، ثم أثني بالشكر للإخوة القائمين على هذا الجامع المبارك، بإقامة هذه المناشط المباركة النافعة التي لها الأثر الكبير بإذن الله - جل وعلا - في الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى -، ونشر العلم النافع، ثم أثنت بالشكر لكم أنتم أيها الحضور وأسأل الله - عز وجل - أن يكتب أجركم، ويكتب آثاركم، ويجعل هذا المجلس مجلس خير وبركة على الجميع.

ثم الحديث عن هذه المحاضرة، أو عن السلسلة التي اختارها الإخوة - وفقهم الله - لهذه المحاضرات، والتي عنونوا لها بآية من كتاب الله - عز وجل -: «فبهدهم اقتده» ونحن مع هؤلاء المقتدي بهم في الحديث عن أخلاق الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، فالمحاضرة عنوانها «أخلاق الأنبياء في ضوء كتاب الله - عز وجل -» ومن قرأ كتاب الله - جل وعلا - سيقف على آيات كثيرة يشير فيها - سبحانه وتعالى - بأنبيائه ورسوله، ويذكر طرفاً من أخلاقهم وصفاتهم التي جبلهم الله - عز وجل - عليها.

قبل الدخول في ذكر أخلاق الأنبياء لا بد أن نشير إلى أهمية الأخلاق الحسنة، وأن هذا الشرع الحنيف قد حث على كل خلق كريم، ونهى عن كل خلق سيئ، بل جاء عند أحمد وغيره أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».

إِنَّمَا الْأُمَّمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ *** فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

فالخلق الحسن أعظم وأثقل ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة، بنص وخبر الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم -، إذ قال: «أَثْقَلُ مَا يُوَضَعُ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»،

أخلاق الأنبياء | فضيلة الشيخ حمد بن مجد الوهبي

بل قال -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»، الصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا يفتر.

ولذلك جاءت وصايا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه بحسن الخلق، كما أوصى أبا ذر ومعاذا وأنسا فقال: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»، كل هذا يدل على أهمية وعظم وفضل التخلق بالأخلاق الحسنة.

ولهذا ذكر عند ابن عباس -رضي الله عنهما- أن امرأة ذكروا من صلاتها وصيامها، إلا أنها تؤذي جيرانها، فقال: «هِيَ فِي النَّارِ».

لذلك الأخلاق الحسنة جدير بالموثوق من أن يعنى بها، وأعظم ما يعين العبد بعد توفيق الله -عز وجل- على الأخذ بالأخلاق الحسنة: أن ينظر إلى القدوة الحسنة في ذلك، وهم أنبياء الله ورسوله -عليهم الصلاة والسلام-.

نتحدث أيها الأحبة الكرام عن معنى الخلق، الخلق كما تعلمون هو هيئة راسخة في النفس، تدعو إلى فعل الخير وترك الشر، أو العكس، هي هيئة راسخة في النفس إما أن تدعو صاحبها إلى فعل الخير وترك السيئ من القول والعمل، وإما أن تدعو صاحبها إلى خلاف ذلك، قال الله -جل وعلا- في سورة الشمس، أقسم في هذه الصورة بكم قسم؟ بأحَدَ عَشَرَ قَسَمًا، أطول قسم في كتاب الله في هذه السورة، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ١-٨] أكمل ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]، قيل أن هذا جواب القسم، جواب الأقسام الأحد عشر هو قوله -جل وعلا-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ زكى هذه النفس يعني، وقيل إن جواب القسم قوله -جل وعلا-: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودٌ بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس: ١١] وهو أجود.

ولكن على كل حال نأتي على الجواب الأول، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، أفلح؛ أي فاز بالمطلوب ونجى من المرهوب، من زكى نفسه بأن أبعداها عن كل خلق ذميم، وألزمها كل خلق حسن، وقد خاب من دساها دنسها بالأخلاق والأقوال السيئة القبيحة، أعاذني الله وإياكم من هذه الحال.

إذن: هذا ما يتعلق بالحديث عن الأخلاق، وعن أهميتها، والكلام حول هذا يطول، ولكن لن نستطرد في ذلك إبقاءً على موضوع المحاضرة.

إذن: أخلاق من؟ الأنبياء، والأنبياء من هم؟ الأنبياء جمع نبي، وقيل: إن النبي هو الرسول، وقيل: إن ثمة فرقاً بين النبي والرسول، فمن يعرف الفرق منكم؟

تفضل يا أخي ..

{..... }

أعطنا القول الراجح عندك.

{..... }

هذا الراجح عندك؟ عندك أنت؟

{..... }

نريد القول الراجح عند المتكلم، أنت رجحت هذا قدمته ورجحته .. تفضل.

{..... }

إذن: ذكر الأخ الكريم التعريف أو الفرق الدارج عند الناس، أن الرسول هو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبى من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، وهذا في الحقيقة ليس دقيقاً، وإنما الصحيح ما رجحه ابن تيمية -رحمه الله تعالى- بأن الرسول هو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبى من لم يأت بشريعة جديدة، هو يبلغ ويؤمر بالتبليغ لكنه لا يأتي بشريعة جديدة.

فأتى بمثال إبراهيم رسول نبى، ولوط نبى؛ لأن لوطاً شريعته شريعة من؟ إبراهيم.

محاضرتي منكم وإيكم .. نريد يا إخوان المشاركة من الجميع.

إذن: إبراهيم ماذا؟ رسول نبى، ولوط نبى، هذا مثال يوضح لك الفرق.

نأتى بعد هذا إلى هؤلاء الصفوة، والثلة من أنبياء الله ورسله -عليهم الصلاة والسلام-، والحديث عن هؤلاء الصفوة يطيب ويحلو، تستعذبه الألسن، وتطرب له الأسماع؛ لأنه حديث عن قوم اصطفاهم الله -عز وجل-، الله -سبحانه وتعالى- يصطفى من عباده ما يشاء، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الفصص: ٦٨]، فالله -جل وعلا- اختص هؤلاء الصفوة من بين سائر الخلق، والله -جل وعلا- الحكمة البالغة في اصطفائهم ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] لحكمة بالغة اصطفاهم -سبحانه وتعالى- واختارهم، ولذلك اصطفاهم -جل وعلا- وجبلهم على أحسن الأخلاق وأفضل الطباع -عليهم صلاة الله وسلامه-.

من الأدلة الدالة على هذا المعنى قول الله -عز وجل- في سورة الأنعام لما ذكر قصة إبراهيم -عليه السلام- قال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلِيَّاسَ

كُلُّ مَنْ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴿[الأنعام: ٨٣-٩٠]، هذا هو الشاهد: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾، فالله هداهم - جل وعلا-، هداهم لأحسن الأخلاق وأفضلها وأشرفها - صلوات الله وسلامه عليهم -.

لما ذكر الله - جل وعلا- طرفاً من أنبيائه ورسله في سورة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١]، ثم ذكر موسى ثم ذكر إسماعيل، ثم ذكر إدريس، ثم قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ [مريم: ٥٨]، وهذا هو الشاهد: ﴿مِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ فالله تعالى هو الذي هداهم، وهو الذي اجتباهم - سبحانه وتعالى -.

إذن: يأتي سؤال هنا: لماذا جعل الله - عز وجل - هؤلاء الأنبياء قدوة، ولماذا وجه الأمر لمحمد - صلى الله عليه وسلم - بالأصالة ولأمته تبع في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام:

٩٠] لماذا؟

{.....}

السؤال مرة أخرى: لماذا أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - وأمرت أمته بعده بالاقْتِدَاءِ بهؤلاء الأنبياء، أو على الدقة: الاقْتِدَاءِ بهدي هؤلاء الأنبياء؛ لأنه لم يقل: فبهم اقتده، وإنما قال: ﴿فَبِهِدَاهُمْ﴾، فالاقْتِدَاءُ بهداهم وليس بذواتهم، ما الجواب؟

{.....}

هذا جواب؛ لأن الأنبياء أخوات لعلات، دينهم واحد وأمهاهم شتى، نريد جواباً أدق.

{.....}

أحسن؛ لأنهم الصفوة الذين اصطفاهم الله واجتباهم، وهم معصومون عن الشرك وعن كبائر الذنوب، ولا يقرون على صغائر الذنوب، فالله - جل وعلا- اصطفاهم وجبلهم على أحسن الأخلاق، لذلك أمر - جل وعلا- بالتأسي والاقْتِدَاءِ بهم، كما قال - جل وعلا- في سورة الأحزاب في سياق عجيب في هذه السورة، وهذه السورة بالمناسبة من يقرأها ويتأمل فصولها وترابطها كأنه يعيش في بيت النبي - صلى الله عليه وسلم -.

هذه السورة محورها كلها في الحديث عن بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- باختلاف المحاور التي في هذه السورة، الشاهد قال -جل وعلا- في ثنايا هذه السورة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].
قال ابن كثير: هذه الآية أصل في التأسي بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في أقواله وأفعاله وجميع أحواله.

أصل، أسوة حسنة؛ لأن هناك أسوة سيئة، ﴿وَجَعَلْنَا هُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص: ٤١]، هناك أئمة هدى، وهناك أئمة ضلالة، فعليك بأئمة الهدى واحذر أئمة الضلالة.

إذن: هذا أيضًا من الآيات الدالة على أن الله تعالى هدى هؤلاء الأنبياء واصطفاهم، أيضًا هؤلاء الأنبياء -عليهم السلام- لهم أخلاق، ولهم صفات، وهي كثيرة، ولا يمكن أن نأتي على صفاتهم وأخلاقهم في مثل هذه المحاضرة، ولكن حسبي وإياكم في هذه المحاضرة أن نقف موقف تدبر في آيات كتاب الله -عز وجل-، نقتطف من ثماره اليانعة، ما يسمح به الوقت، نقف على بعض الصفات، بل على أبرزها، قبل أن ندخل ونلج في هذه الأخلاق الكريمة لهؤلاء الثلاثة المباركة من أنبياء الله ورسله، يأتي سؤال: الله -جل وعلا- وصف بعض أنبيائه ببعض الأخلاق، ولم يصف بعضهم بتلك الأخلاق؟ هل معنى هذا أن الذين لم يصفهم بتلك الأخلاق غير متصفين بها؟

الله -جل وعلا- اختص بعض أنبيائه ورسله -عليهم السلام- بذكر أخلاق تخلقوا بها، وصفات اتصفوا بها، ولم يذكر غيرهم، مثلاً قال عن نوح: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، لم يذكر عن يوسف عن يونس أنه شكور، ذكرها عن بعض الأنبياء ووصفهم بهذه الصفة، ووصفهم بهذا الخلق دون بعض، هل الذين لم يوصفوا ولم ينعوتوا بهذا الخلق غير متصفين به؟

الجواب: لا، بل هم متصفون، ولكن ذكر هذا النبي بهذه الصفة لأنها الأبرز في خلق هذا النبي، فامتاز مثلاً نبي الله نوح -عليه السلام- بالشكر، بخصه الله تعالى وأبرز هذه الصفة وهذا الخلق، فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

وهناك صفة عامة اشترك فيها الأنبياء كلهم على قدر واحد، وبعض الأخلاق تفاضل فيها الأنبياء؛ لأن الله -جل وعلا- فضل بعض الأنبياء على بعض، ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]، إذن: التفضيل واقع، ولكن ما الجواب؟

أخلاق الأنبياء | فضيلة الشيخ حمد بن مجد الوهبي

قول النبي -صلى الله عليه وسلم- كما عند البخاري وغيره: «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى»
قرأنا آيتين قبل قليل في تقرير تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض، ثم يأتي حديث صحيح صريح في النهي
عن تفضيل النبي -صلى الله عليه وسلم- على يونس بن متى، وهو -صلى الله عليه وسلم- أفضل
الأنبياء والمرسلين، ما الجواب؟

هذا الجواب يستحق جائزة؟

أعيد السؤال .. عليكم بالسكينة حتى تغشاكم السكينة.. السؤال مرة أخرى: قرأنا قوله تعالى:
﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقرأنا قوله -جل وعلا-: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا
بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، ثم يأتي حديث صحيح في البخاري قول النبي -صلى الله عليه
وسلم-: «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى»، ما الجواب؟

{..... }

هذا أحد الأجوبة، أنه تواضع وإزرء من النبي -صلى الله عليه وسلم- لنفسه.

الجواب الثاني:

{..... }

في النبوة؟ النبوة واحدة، كلهم أنبياء، النبوة منزلة واحدة كلهم نبي يوحى إليه، نعم.

{..... }

أحسنت.. هذا من أحسن الأجوبة لأن لهذا الحديث قصة، لما لطم أحد الأنصار لما قال اليهودي
والذي فضل موسى على محمد، وقال الأنصاري والذي فضل محمدًا على موسى، فحصل بينهما
خلاف ومنازعة، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى»، ثم ذكر منزلة
موسى فقال: «فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا مَوْسَى آخِذٌ بِأَحَدِ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ
قَبْلِي أَمْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ»، بين منزلة من؟ موسى، فإذا كان التفضيل يفضي إلى انتقاص المفضل
أو حصول تعصب وخلاف ونزاع، ينهى عنه، لكن مقام التفضيل واقع، والأنبياء يشهدون بفضل النبي
-صلى الله عليه وسلم- عليهم جميعًا، والله -جل وعلا- قد بين منزلته، ومنزلته تظهر جلية في يوم
الموقف، يوم العرصات، حتى يأتي الناس إلى آدم ثم إلى نوح إلى إبراهيم إلى موسى ثم عيسى كلهم
يقول: نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، حتى يأتوا محمدًا -صلى الله عليه وسلم-، فيقول: «أَنَا لَهَا أَنَا
لَهَا» الحديث، إذن: هذا لا بد أن يكون واضحًا وظاهرًا وجليًا بحمد الله تعالى.

نأتي يا إخوان بعد ذلك إلى الوقوف على أبرز الأخلاق التي وصف الله -جل وعلا- بها أنبياءه

ورسله.

أبرز صفة وهي في الواقع لها أهمية كبرى، ويجب على المسلم أن يعتني بهذه الصفة عناية كبيرة؛ لأن عليها مدار الدين، ومدار قبول الأعمال على هذا الخلق وعلى هذه الصفة، وهي الإخلاص. قال الله -جل وعلا- عن نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، بعدها: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤] إذن: الإخلاص يا إخوان خلق كريم وصف الله -جل وعلا- أنبياءه ورسله، وهم على درجة واحدة في الإخلاص لله -جل وعلا-؛ لأن كل نبي إذا دعا قومه ماذا يقول: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الشعراء: ١٠٩]، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢]، فلا يتبغي بدعوته أجرا إلا من الله، ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، هذا خطاب الله -جل وعلا- لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-.

لكن الله تعالى خص بعض أنبيائه ورسله بهذا الصفة، فقال عن يوسف -عليه السلام-، قال: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [يوسف: ٢٤]، ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ على قراءة، وقرئ قراءة سبعية صحيحة متواترة ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾، أخلصه الله -جل وعلا-، ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بفتح اللام، أي أن الله تعالى أخلصه واصطفاه بأحسن الأخلاق وأطيبها، والمخلصين من الإخلاص، والإخلاص بتعريف المختصر هو: تخليص الأعمال والأقوال من شوائب الشرك، وأن يكون القصد كله لله وحده، فالله -جل وعلا- صرف الفاحشة والسوء عن نبيه ورسوله يوسف -عليه السلام- لماذا؟ لأنه كان من المخلصين.

إذن: بالإخلاص يا إخوان ينجو المرء من الفتن، أخلصه الله -جل وعلا- بإخلاصه، أخلصه الله -جل وعلا- من الفتنة بإخلاصه -عليه السلام-، ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ﴾ يعني لأنه كان من المخلصين لله -سبحانه وتعالى-.

أيضا وصف نبيه ورسوله موسى -عليه السلام- بصفة الإخلاص: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا﴾ [مريم: ٥١]، ﴿مُخْلِصًا﴾ قراءة متواترة صحيحة، ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا﴾، وقرئ ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١]، إذن: نبي الله وكليمه موسى -عليه السلام- ممن وصفهم الله -جل وعلا- بهذا الخلق الكريم وهو خلق الإخلاص.

الذي يعيننا من هذا الخلق هو أن نتأسى بهؤلاء الأنبياء في طلبك للعلم، في دعوتك إلى الله -عز وجل-، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ أي طريقي ومنهجي، ﴿أَدْعُو﴾ إلى من؟ إلى الله.

الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمات الله وبركاته عليه وعليكم وعلينا وعلى والدينا والمسلمين أجمعين، في كتاب التوحيد، في باب الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ذكر في مسائل هذا الباب، مسألة قال في هذه الآية: لأن غالب من يدعو يدعو إلى نفسه، غالب من يدعو وهذا

صحيح هذا واقع للأسف الشديد، غالب من يدعو الناس يدعوهم إلى نفسه، يحب كثرة الناس حوله، يحب أن يظهر صيته، يحب أن يكون له مكانة، كما في الحديث الصحيح عند مسلم وغيره: «أَوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ ثَلَاثَةٌ» أحدهم قارئ القرآن والعالم يؤتى بها فيقال: ماذا عملت؟ يخاطبه ربه -جل وعلا-، يقول: «تَعَلَّمْتُ فِيكَ الْعِلْمَ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: كَذَبْتَ، لَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ»، الشيخ فلان، صاحب الفضيلة العلامة، وقرأت ليقال قارئ، فقد قيل، ما أردته حصلته، الثناء والتبجيل والتقدير أخذته في الدنيا، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه في النار.

فلنحذر يا إخوان، الخلاص بالإخلاص، ولما ذكر عند أحمد الإخلاص، قال: هذا الخناق، لما ألف أبو داود السجستاني -رحمه الله تعالى- كتاب السنن، وهو تلميذ أحمد بن حنبل -رحمهم الله جميعا-، قال له أحمد: لم كتبت السنن؟ لماذا ألفتها؟ قال أبو داود: الله، قال أحمد: الله عزيز، يعني صعب، يزعم الإنسان أن هذا العمل أو القول لله عزيز، غير مستحيل، لكنه عزيز الجزم به، ولكن قل: حُبب إلي شيء فصنعتة.

إذن: الإخلاص يا إخوان أمره عظيم، فيجتهد الواحد منا في أن تكون أقواله وأعماله كلها لله، على حد قول الله -سبحانه وتعالى- مخاطبا نبيه -صلى الله عليه وسلم- في سورة الأنعام في آخرها قال -جل وعلا-: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، حتى حياتك لله -جل وعلا-، تحيا لله وتموت لله.

وأتذكر كلمة لشيخنا العلامة ابن باز -رحمه الله تعالى- تكتب بماء الذهب، يقول: الحياة في سبيل الله أصعب من الموت في سبيل الله.

تأملوها: الحياة في سبيل الله أصعب من الموت في سبيل الله، هذا الشهيد دخل معركة وقتل، انتهت حياته، أما هذا العالم وطالب العلم، والعامي من المسلمين عاش يجاهد نفسه ويجاهد شيطانه المرید، ويجاهد هذه الدنيا بزخرفها، ويصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، فأيهما أصعب.

الثاني، الشهيد قتل، نعم لا شك أن كفى ببارقة السيوف فتنة، لكنه قتل وانتهت حياته، أما الذي يعيش في سبيل الله همه هذا الدين، وهمه الدعوة إليه، وهمه تبليغ رسالات الله، وهمه إقامة الحجة على خلق الله -جل وعلا-، حياته تحتاج إلى مجاهدة وإلى صبر وإلى مصابرة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

إذن: يا إخوان هذا الخلق الكريم علينا أن نتصف به، وأن نحرض أشد الحرص على أن تكون أعمالنا كلها لله وحده.

الله تعالى قال عن نبيه وخليته إبراهيم -عليه السلام- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ قَانِتًا لِلَّهِ﴾ الله لا لغيره، والقانت من هو؟ من معاني القنوت الطاعة، أي أنه مطيع لله -سبحانه وتعالى-، وطاعته ابتغاء ما عند الله -سبحانه وتعالى-، لا أطيل وإياكم مع هذا الخلق.

أنتقل إلى خلق آخر من الأخلاق التي وصف الله -جل وعلا- بها أنبياءه ورسله في كتابه الكريم، من الأخلاق الصدق، من الأخلاق الكريمة التي وصف الله -جل وعلا- بعض أنبيائه ورسله في كتابه، وصف نبيه محمداً -صلى الله عليه وسلم- بذلك فقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، من الذي جاء بالصدق؟ محمد -صلى الله عليه وسلم-، ومن الذي صدق به؟ أمته بعده، وأولهم أبو بكر -رضي الله عنه-، هو الذي صدق بالنبى -صلى الله عليه وسلم- أول من آمن به وصدقه -رضي الله عنه- وأرضاه.

أيضاً من الآيات التي جاءت في وصف أنبياء الله ورسله -عليهم السلام- بالصدق قوله -جل وعلا- عن إدريس -عليه السلام- ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦]، والصديق أبلغ من الصادق، وصفه بالصديقية، والصديقية منزلة بعد منزلة النبوة.

إذن: وصف نبيه إدريس بالصدق، كذلك وصف إبراهيم ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١]، وصف كذلك إسماعيل بقوله -جل وعلا-: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤]، فخصه بهذه الخصلة، أنه صادق في وعده، خلافاً لأهل النفاق، أعاذني الله وإياكم من حالهم.

والمقصود يا إخوان بالصدق، ليس الصدق بالقول؛ لأن الصدق هو الإخبار بالخبر على ما هو عليه، الإخبار بالخبر المطابق للواقع، أقول: حضر الشيخ فهد، أنا صادق ولا كاذب؟ صادق لأنه حضر، فأنا أخبرت بخبر مطابق للواقع، هذا في القول، لكن الصدق ليس فقط خاصاً باللسان، بل الصدق في القلب، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤]، وكما قال -جل وعلا- في خاتمة سورة المائدة قال الله: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ [المائدة: ١١٩] .. تكمل الآية.. تفضل.

{..... }

الصديق أبلغ مبالغة، صادق اسم فاعل، وصديق مبالغة في صدقه، صادق في قلبه صادق في عمله، صادق في قيله، ولا بد من هذا، لا بد أن يكون الصدق في كل هذه الأمور، ولهذا لما جاء رجل لما قسم النبي -صلى الله عليه وسلم- الغنائم، وأعطى أحد الصحابة أعرابي قال: ما على هذا بايعتك، قال: إذن: على ماذا بايعتني؟ قال: بايعتك على سهم يدخل من هاهنا ويخرج من هاهنا، قال: ﴿إِنْ تَصَدَّقِ اللَّهُ

أخلاق الأنبياء | فضيلة الشيخ حمد بن محمد الوهبي

يَصْدُقُكَ»، فجاءت المعركة فقاتل فوجدوه مقتولا، ووجدوا السهم في المكان الذي أشار إليه، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «صَدَقَ اللهُ فَصَدَقَهُ اللهُ».

وهكذا كن صادقاً مع الله يا إخوان، قال الله تعالى في سورة البقرة -سنام القرآن: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ إلى أن قال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ [البقرة: ١٧٧]، هؤلاء المتصفون بهذه الصفات هم الصادقون، إذن: ليس الصدق فقط باللسان وإنما الصدق بكل هذه الأمور، أن تأخذ الدين كله، ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]، هذا الذي يعيننا في بيان هذا الخلق الكريم الذي وصف الله -جل وعلا- به أنبياءه ورسله.

أيضاً من الصفات وهو الثالث: الأمانة، صفة الأمانة، والتي ترفع في آخر الزمان، أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الأمانة ترفع، قال: «إِذَا وُسِدَ الْأَمْرُ إِلَىٰ غَيْرِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، وكما قال في حديث آخر حديث حذيفة -رضي الله عنه- قال: «بَلَّغْنَا أَنَّ الْأَمَانَ نَزَلَتْ فِي جَدْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ»، الأصل كانت الأمانة في قلوب الرجال، ثم تتلاشى.

قال في الحديث: «حَتَّىٰ يَبْقَىٰ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ»، الآن لو معك فأس وتضرب به تجد في كفك أثر نصاب الفأس، يبقى أثر الأمانة في القلب كأثر هذا النصاب في كفك، قال: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ، حَتَّىٰ يُقَالَ: فِي بَنِي فَلَانٍ رَجُلٌ أَمِينٌ».

الأمانة تنزع من قلوب الرجال، ولهذا الله تعالى قال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ما هي الأمانة في الآية؟ التكليف الشرعية.

هذا الدين الذي نحن عليه بحمد الله أمانة، وقد فسر بعض المفسرين الأمانة هنا ببعض أفرادها، فقالوا: الغسل من الجنابة أمانة، وهذا مثال، لكن الأمانة أوسع من ذلك بكثير.

وصف الله تعالى بعض أنبيائه بالأمانة، فنأتي على من وصفهم الله -جل وعلا- بالأمانة في سورة الشعراء، نوح وهود وصالح ومن؟ ولوط وشعيب، كل واحد يقول لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٧]، يعني أمين مؤتمن على رسالة الله -جل وعلا- أبلغها لكم.

فكل الأنبياء على قدر الأمانة، تحمّلوا الأمانة وهي الرسالة، وبلغوها إلى أقوامهم، ولهذا قال الله -جل وعلا- في سورة الأحزاب التي ذكرنا الآية منها قبل قليل، قال عن أنبياء الله ورسله: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، قالت عائشة -رضي الله

عنها:- «مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا كَتَمَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ»، فرسول الله -صلى الله عليه وسلم- بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حتى أتاه اليقين من ربه -عز وجل- .
إذن: الأمانة هي وصف عام لجميع الأنبياء والرسل، من معاني الأمانة: رد الودائع، كذلك حفظ السر من الأمانة، وهذه أمثلة للأمانة، لكن الأمانة بمعناها الشامل هي التكليف الشرعية، هي الدين الذي ائتمنتك الله عليه أن تقوم به وأن تتعبد لله -عز وجل- به.

وصف الله -عز وجل- نبيه محمداً -صلى الله عليه وسلم- بالأمانة في سورة التكويد، ما الآية؟
﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤]، قراءتان، الأولى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ بضنين؛ أي: بيخيل، لا ييخل على الناس في تبليغ الرسالة، القراءة الثانية بحرف الظاء التي بعضا، ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ أي أنه غير متهم في تبليغ الرسالة، لو كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كاتما شيئاً من الوحي، لكتم قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عبس: ١]، لكتم قوله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، لكنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة -صلى الله عليه وسلم-.

إذن: وصف عظيم لذلك عليك أيها المسلم أن تتصف بهذا الخلق النبيل، وهو خلق الأمانة، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أَدُّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ». وذكر أن من خصال النفاق «إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ»، من صفات المنافقين الخيانة، وقد قال الله -جل وعلا-: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، فعلى المسلم وعلى طالب العلم أن يحذر من خلق الخيانة، وأن يكون أميناً، سواء كان طالب علم أو كان في وظيفته، أو كان في شأن من شؤونه أيًا كان يكون أميناً، يقوم بما كلف به على الوجه الذي أراده الله - سبحانه وتعالى - حسب استطاعته، ولا ييخل بهذه الأمانة.

أيضاً من الآيات في هذا التي ذكر الله -جل وعلا- اتصاف بعض أنبيائه بهذا الخلق الكريم، قوله عن نوح -عليه السلام-، وعن هود وعن كذلك صالح في الأعراف، ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨]، فوصف نفسه بهذين الخلقين النصيح والأمانة، فيكون المسلم ناصحاً كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قلنا: لمن؟ قال: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». إذن: هذا ما يتعلق بخلق الأمانة.

نأتي إلى الخلق الثالث أو الرابع؟ الرابع أحسستم، ما شاء الله أنتم متيقظون، لا أريدكم تسرحون أو تنامون.. هذا عملي أخذ وعطاء ونقاش منكم وإليكم وأنا المستفيد، لا أحب أن يكون الإلقاء من طرف واحد، يكون مناقشة ومذاكرة، تكون الفائدة أعم.

الخلق الرابع: الصبر.

وهذا الصبر ذكره الله -جل وعلا- في كتابه في كم موضع؟ قال أحمد: ذكر الله تعالى الصبر في ..
موضعا؟

{... ..}

ذكر الله الصبر في تسعين موضعا، لماذا؟ لأهميته، الآن أنتم جالسون في المسجد، صابرون، وأنا جالس صابر، الشيخ كذلك، لولا الصبر بعد توفيق الله ما أحد منا جلس، بل كل حياتك لا بد فيها من الصبر، قال عمر -رضي الله عنه-: وجدنا خير عيشنا بالصبر، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**وَمَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ**»، وهذا مشاهد، كلما تصبرت أعانك الله وصبرك، أما إذا كنت طائشا عجلا غضوبا، فإنك تحرم.

ولهذا قالوا:

وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرِ تَطَلَّبَهُ *** وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ
وَالصَّبْرُ كَأَسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقُهُ *** لَكِنَّ عَاقِبَتَهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

الصبر طعمه كالعقم، قال:

وَالصَّبْرُ كَأَسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقُهُ *** لَكِنَّ عَاقِبَتَهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

وهذا مشاهد، ولهذا الله تعالى قال لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- أمرا له بالتأسي بالصابرين من أنبيائه ورسله ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [الأحزاب: ٣٥]، من هم هؤلاء؟ من أولي العزم من الرسل؟ نريد ذكرهم وذكر الآيتين التين ذكروا فيها؟ الجواب مركب، تذكر هؤلاء الذين وصفهم الله تعالى بأنهم أولي العزم من الرسل، وتذكر موضعين من كتاب الله اللذين فيهما ذكر هؤلاء الرسل؟

{... ..}

نوح، وإبراهيم، وعيسى، ومحمد، باقي واحد: موسى، طيب الآيتين؟

﴿**مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ...**﴾، ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى**﴾ [الشورى: ١٣].. أحسنت.

إذن: أولو العزم هم الخمسة المذكورين في قوله -جل وعلا- في الأحزاب: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى**﴾ [الأحزاب: ٧]، وفي الشورى: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾ محمد، ﴿**وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ**﴾ إلى آخر الآية.

لماذا سُموا أولو العزم؟

سُموا بذلك لأنهم أعظم صبورا، وأشد أذى، فيحتاج الصبر إلى عزم، قال تعالى عن لقمان عليه السلام: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، من عزائم الأمور، لذلك وصفهم بأنهم أولو العزم، ولهذا قال -جل وعلا-: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤].

وهذا نقف عنده وقفات، خلق الصبر يحتاج منا إلى وقفات؛ لأن الله تعالى أمر به في كتابه في مواضع متعددة، أمر به نبيه محمداً، وأمر به عباده المؤمنين في آخر سورة (ق) قال: ﴿فَاصْبِرْ﴾ [ق: ٣٩]، وفي سورة هود قال: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، وفي غافر كذلك، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الفلم: ٤٨]، وفي سورة كذلك طه، وفي سورة الطور، لا بد لك أيها المؤمن الموفق أن تقرأ كتاب الله بتدبر، يا إخوان نحن أمام كنز أغفلناه، وغفلنا عنه، كتاب الله -عز وجل- كفيلاً بالسعادة، ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: لا شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة النظر في معانيه، فإن ذلك يطلع المرء على معالم الخير والشر بحذافيرها. وقال ابن القيم في الكافية الشافية:

فَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ إِنْ رُمْتَ الْهُدَىٰ *** فَالْعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ

وقد قال ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في الواسطية: ومن تدبر القرآن طالبا الهدى انتفع به، أو كما قال.

من تدبر القرآن، لاحظ القيد، ضع خطين، من تدبر القرآن ماذا؟ طالبا الهدى، ولهذا قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: (من أراد العلم فليثور القرآن)، فليثور تشوير، يتأمل، القرآن بحاجة إلى تدبر وإمعان النظر في الآيات، اقرأ القرآن قراءة تدبر، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ لماذا؟ ﴿لِيَتَدَبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، يا إخوان، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، ما معنى أم هنا في الآية؟

يعني بل، معناها بل، يعني أن الذي منعهم من تدبر القرآن وجود الأقفال على قلوبهم.

لذلك يا إخوان افتحوا قلوبكم عند قراءة كتاب ربكم، كما قال ابن القيم: إذا أردت أن تقرأ القرآن فاحضره حضور من يخاطبه به سبحانه منه إليه.

لو جاءك رسالة، أنت الآن من خارج المملكة، من أين الإخوة؟ من توغو، جاءك رسالة من أبيك أو أمك أو قريبك، تجد أنك تأخذ الرسالة وتقرأها مرات، لماذا؟ لأنها من شخص عزيز عليك، هذا

أخلاق الأنبياء | فضيلة الشيخ حمد بن مجد الوهبي

القرآن والله تعالى المثل الأعلى من الله، رسالة من الله إليك، وقد قال ابن تيمية: قل أن يكون قوم يأتيهم كتاب بلغة يعرفونها ثم لا يستشرحونه، ولا يتأملونه.

فواجب على أهل الإيمان أن يقفوا مع كتاب الله -جل وعلا-، كما قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب.

فهذه المحاضرة اجعلها منطلقاً لك للتدبر؛ لأن عنوان المحاضرة هو مجال فسيح للتدبر، لو جلسنا وإياكم إلى الفجر مع هذه المحاضرة لن ننتهي؛ لأن القرآن مليء في سور متعددة وآيات كثيرة ينعت الله -جل وعلا- فيها أنبياءه ورسله بصفاتهم وأخلاقهم، لكن حسبنا أن نشير إشارات عل الله تعالى أن ينفعنا بها.

إذن: الصبر وصف الله تعالى به أيوب -عليه السلام-، ﴿وَأذْكَرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكَضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مَغْتَسلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ * وَخَذَ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤١-٤٤] اسم فاعل، ﴿صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ﴾ لماذا؟ ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، فأثنى عليه بالصبر، وأثنى عليه بالرجوع والتوبة إليه -سبحانه وتعالى-، فهو صابر.

وقد ذكر أهل التفسير في مرضه وبلاءه أقوالاً الله أعلم بصحتها، لكن الذين يعيننا ما ذكره الله -جل وعلا-، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤]، إذن: ﴿وَذِكْرَى لِّلْعَابِدِينَ﴾، الشاهد من الآية أن أيوب -عليه السلام- كان على البلاء صابراً، مكث سنين قيل عشرين سنة وقيل أقل وقيل أكثر، وقد بلي في جسده بلاءً عظيماً لكنه كان صابراً، يصبر الإنسان لأنه يرجو ما عند الله، جعل الله معيته الخاصة للصابرين، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] بعونه وتأييده وحفظه وتثبيتته، هذه هي المعية، معية خاصة تعني ماذا؟ الإعانة والتثبيت والحفظ والتأييد، فإذا كان الله معك أيها الصابر فليس عليك خوف ياذن الله تعالى.

كذلك الله -جل وعلا- وصف بالصبر من الأنبياء جملة، قالها -جل وعلا-: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا﴾ [الأنعام: ٣٤] واجهوا أذى وتكذيب مع ذلك صبروا على التكذيب وعلى مشاق الدعوة، الواحد منا يحتاج إلى صبر، قال بعضهم: إلى متى أصبر؟ أحد الدعاة قال: إلى متى أصبر؟ قال: اصبر حتى تبلغ عمر نوح في الدعوة.

كم عمر نوح في الدعوة؟ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، قال: إذا دعوت تسعمائة وخمسين عاماً لا تصبر، خلاص.

نعم يا إخوان، هذا المقصود، هذه أخلاق الأنبياء، ومع ذلك ما آمن معه إلا قليل، بل سخروا منه، ﴿كَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [هود: ٣٨]، ﴿مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧].

الصبر يا إخوان، اقرءوا القرآن، تأملوا سير الأنبياء، ألم تقرأوا عن خطيب الأنبياء، من هو؟ شعيب، ماذا قال؟ لما دعاهم فيه لطف فيه رفق وفيه لين وبأسلوب بارع، وهو خطيب الأنبياء، بليغ في دعوته، ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ جماعتك وعشيرتك ﴿لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١]، لو واحد يقول لك واحدة من هذه لأقمت الدنيا ولم تقعدتها، أم لا يا إخوان، أجييوا..

﴿مَا نَفَقَهُ﴾ لو أن واحدًا منكم قال لي: يا شيخ حمد لا ندرى ماذا تقول. تأثرت نفسيًا، أم لا؟ ﴿لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾، ماذا كان جوابه؟ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ ما دافع عن نفسه، فقط الذي كان يهمله أن جعلوا عشيرته وقومه أعز عندهم من الله تعالى، ﴿أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [هود: ٩٢]، لاحظوا يا إخوان نتعلم دروس في غاية الأهمية في الصبر، في الحلم، هكذا ينبغي أن نكون أيها الإخوة، نصبر على مشاق الدعوة، نصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقداره المؤلفة، ومن أقداره المؤلفة ما قد يلقيه أحدنا من أذى في الدعوة.

وأنتم وكل واحد منكم على ثغر من ثغور الإسلام، أنت أب في بيتك، أو طالب في كليتك، أو إمام في مسجدك، أو معلم في مدرستك، أو أستاذ في جامعتك، أو تاجر في متجرك، كل واحد منا على ثغر من ثغور الإسلام، ولهذا يقال: القدوة الصالحة هي المشهد الصامت.

اجعل نفسك قدوة صالحة، من رآك تأسى بك، من غير أن تكلمه، أو تأمره أو تنهاه، بمجرد أن يراك يتأثر بك، وهذا الذي نريده اليوم، نفتقد اليوم القدوات، كن أنت قدوة صالحة في مجتمعك، لا تلق باللوم على فلان وفلان، ألقى باللوم على نفسك، أصلح نفسك، وإذا صلحت صلح مجتمعك الصغير، أسرتك، زوجك وأولادك، ثم صلح حيك، ثم صلح مجتمعك الأكبر، وهكذا.

الذي يريد الإصلاح يسلك هذه الطريقة، وهي التي سلكها الأنبياء والرسل، سلكها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وسلكها من قبله من الأنبياء والمرسلين، فحصل لهم النفع بحمد الله تعالى، إذن: الصبر يا إخوان ذكره الله تعالى في كتابه، ووصف به أنبياءه، من الذين أيضًا وصفهم بالصبر، من؟ إسماعيل، إسماعيل كان من الصابرين، لما عرض عليه أبوه إبراهيم الذبح، ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد.. فالأخلاق كثيرة والوقت لا يتسع لكن قلت لكم في أثناء المحاضرة أن هذه المحاضرة تكون لي ولكم منطلقاً للوقوف على أخلاق الأنبياء، هناك رسائل علمية كتبت في هذا الموضوع، بخصوصه، هناك مؤلف كتبه الشيخ عبد العزيز السدحان حفظه الله تعالى، وقدم له الشيخ صالح الفوزان، بعنوان «أخلاق الأنبياء»، كتاب جدير بالقراءة، ذكر فيه جملة من أخلاق الأنبياء -عليهم السلام-، فنكمل ما تبقى أو ما يتيسر بإذن الله تعالى من الأخلاق التي ذكرها الله -جل وعلا- في كتابه.

من هذه الأخلاق الوفاء، الله تعالى وصف بالوفاء خليله إبراهيم -عليه السلام- بقوله: ﴿وإبراهيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧]، لم يقل: وفي، بل جاء بالتشديد هي مبالغة في وفاءه بما ائتمنه الله عليه وكلفه به، كما قال -جل وعلا-: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، فأتم الكلمات التي أمره الله -عز وجل- بها.

فخلق الوفاء خلق اتصف به الأنبياء -عليهم السلام-، وخص الله تعالى بهذا الوصف أو الخلق إبراهيم -عليه السلام-، وإن كان الأنبياء كلهم -عليهم السلام- متصفين بهذا الخلق. أيضاً من الأخلاق التي ذكرها الله -عز وجل- ونأتي عليها سريعاً، ولكم أن تقفوا عليها وتراجعوا ما ذكره أهل التفسير حول هذه الآيات، خلق الرحمة.

وهذا خلق عظيم، قد قال الله تعالى عن نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فهو رحمة للعالمين، وقد كان رحيماً بأمته -عليه السلام-، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يعني يشق عليه الأمر الذي يعنتكم، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، والرأفة لها قدر زائد عن الرحمة، يعني فيها.. قالوا إن الرأفة هي الإشفاق، فالرأفة قدر زائد عن الرحمة، ففيها قدر زائد على صفة الرحمة، وإن ذكر أحدهما أغنى عن الآخر، فوصفه الله تعالى بالرحمة والرأفة، وهي الإشفاق، مشفق على أمته، يترك العمل الذي يحبه خشية أن يفرض على أمته -صلى الله عليه وسلم-.

فكن أنت أيها المسلم رحيماً بالمؤمنين، كن كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ»، ولما جيء له بابن ابنته ونفسه تقعقع كأنها شن، دمعت عينه -صلى الله عليه وسلم-، فقال أحد الصحابة ما هذا؟ قال: «إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثم أتبعها بأخرى، قال: «وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ».

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، هذا من؟ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إذن: أنت أولى، أولى أن تكون لين، كن رفيقا لنا في غير ضعف، حازما في غير عنف، هناك مواضع تكون فيها حازما، ومواطن تكون فيها لنا من غير ضعف، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ لاحظ الأوامر الربانية لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- مما يدل على أن المؤمن لا بد أن يكون بإخوانه رحيفا، «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحَمَى وَالسَّهَرِ»، أو «بِالسَّهَرِ وَالْحَمَى». هكذا المؤمنين، يكون بينهم رحمة، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

وكما قال -جل وعلا-: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] من هو هذا؟ الخضر، هل هو نبي؟ قيل نبي وقيل عبد صالح، والصحيح أنه نبي، ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾، فالرحمة خلق نبيل، ينبغي للمؤمن أن يتصف به.

من الأخلاق التي وصف الله تعالى بها أنبياءه ورسوله -عليهم السلام-: الشكر، الشكر لله -عز وجل-، على إنعامه، شكر باللسان تحدثا، وشكر بالقلب اعترافا، وشكر بالجوارح عملا، ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، قال الله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، وقال عن إبراهيم: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ﴾ [النحل: ١٢١]، وقال عن سليمان: ﴿فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ الذي هو العرش، عرش بلقيس، ﴿فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ ليس بعقلي أو بجهدى أو بقوتى، أو بمالى، لا، اجعل الأمر لله، ﴿فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

عود لسانك على الحمد، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ يَأْكُلُ أَكْلَةً فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا﴾، يرضى عنك -جل وعلا- في قولك الحمد لله لأن قولك الحمد لله تملأ الميزان، عود لسانك الحمد على كل حال، الحمد لله على كل حال؛ لأن الله -جل وعلا- مستحق للحمد له الحمد في الأولى والآخرة -سبحانه وتعالى-، له الحمد أولا وآخرا، وليلا ونهارا، وسرا وجهارا، فالله أهل لأن يحمده، وأهل لأن يعبد، وأن يمجده -سبحانه وتعالى-.

أيضا من الصفات التي وصف الله تعالى بها أنبياءه ورسوله، نختم بهذا الخلق وهو خلق بر الوالدين.

الخلق الذي نختم به بر الوالدين، ووقفة جدا مهمة مع بر الوالدين، الله وصف يحيى - عليه السلام - فقال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤]، وقال عيسى عن نفسه: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢]، قال أهل التفسير: إن هناك ارتباطا بين السعادة في الدنيا والآخرة وبين بر الوالدين، والعكس بالعكس، ارتباط بين الشقاوة في الدنيا والآخرة وبين عقوق الوالدين، أعاذني الله وإياكم من ذلك، فوصيتي لنفسي ولكم بالبر والإحسان للوالدين.

فالله تعالى وصف هؤلاء الأنبياء بأنهم بارون بوالديهم، قال الله عن نوح: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [نوح: ٢٨]، دعا لوالديه، وإبراهيم - عليه السلام - ضرب أروع الأمثلة مع أبيه الكافر، تأمل معي: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ [مريم: ٤١، ٤٢] يا كافر، يا عرييد، يا مجرم، لا، ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ﴾ [مريم: ٤٢، ٤٣] لاحظ ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ﴾ ما قال أنت جاهل وأنا عالم، بعض الشباب الآن مع أبيه وأمه أخذ شهادة بكالوريوس ولا ماجستير ودكتوراة، وتعاضم في نفسه على أبيه، ما أدراك أنت يا أبي، وما أدراك أنت يا أمي، لا أخي الكريم كن لينا مع والديك، قال: ﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤].

كلما تقدم بهما السن كلما احتاجا مزيد بر وإحسان، ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتِبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ [مريم: ٤٣، ٤٤] خائف عليه، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ﴾ [مريم: ٤٤، ٤٥] انظر الآن الإشفاق ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٥]، مع هذا العطف واللين والرفق والرحمة، ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]، طيب ماذا رد عليه؟ ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم: ٤٧]، يعني وعده بالاستغفار بأن يستغفر له ربه - جل وعلا -، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]، ولولا أن الله نهاه لاستمر يستغفر لأبيه.

لكن الله تعالى قدر أن يموت أبوه كافرا، فانظر هذا درس واضح لنا جميعا في البر بوالدينا المسلمين بحمد الله تعالى، رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - قال: «اسْتَأذَنْتُ رَبِّي أَنْ أُرْوَرَ قَبْرَ أُمِّي فَآذِنَ لِي، وَاسْتَأذَنْتُهُ أَنْ أَدْعُوَ لَهَا أَوْ أَنْ أَسْتَغْفَرَ لَهَا فَلَمْ يَأْذَنْ لِي»، فأنتى قبرها وبكى عند قبرها - صلى الله عليه وسلم -.

فكونوا يا إخوان بارين بأبائكم وأمهاتكم؛ لأن الله تعالى قرن حقهما بحقه، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، كفى بهذه الآية زاجرا وحاثا لكل ابن وابنة في أن يقوموا بهذا الواجب، ﴿إِذَا مَا يُلْغَنَ عِنْدَكَ الْكَبِيرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا

وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿[الإسراء: ٢٣، ٢٤].

لفتة أختم بها: سعيد بن المسيب جاءه رجل قال عن هذه الآية: يقول عرفت كل ما في هذه الآية إلا قوله: **وقل لهما قولا كريما**، تأمل معي جواب سعيد، سأله عن قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

قال: قول العبد المذنب للسيد الغليظ.

يعني الآن شخص سيد، الآن لا يوجد عبيد مملوكون، سابقا، شخص سيد وعنده عبد، وهذا العبد أخطأ في حق السيد، وهذا السيد غليظ، غضوب، أحمر، ماذا عسى العبد أن يسلم من عقوبة هذا السيد؟ يستنفذ كل الأقوال الحسنة حتى يعفو عنه سيده، ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، قول العبد المذنب للسيد الغليظ.

جواب سديد، فكونوا كذلك مع والديكم، غفر الله لنا ولكم، ولو الدينا، وأسكنهم فسيح الجنان، شكر لكم حضوركم وإنصاتكم.

حولت المادة الصوتية الى نصية كما القيت ولم تتم مراجعتها من قبل الشيخ